

الصيدات والغواصات

ابتنا في مقالة سابقة ان الاميرال محسن الاميركي كتب في احدى المجلات الانكليزية مقالة مسببة ابان فيها بادلة كثيرة انه لولا انضمام اميركا الى الحلفاء لمقد النور لالمانيا حتماً بواسطة غواصاتها . ولذلك فان اعتماد المانيا على الغواصات كان في محلها فانها كانت كافية لمنع الجنود الاميركية من الوصول الى اوربا ولمنع المؤونة والذخيرة والمدد من الوصول الى انكلترا فكان الحلفاء مضطرين ان يلقوا اسلحتهم ويطلبوا الصلح من المانيا ويقبلوا به مهما كانت شروطه . ولكن الاميركيين مددوا الحلفاء بكل ما عندهم من المدرات والوسائل التي قضت على الغواصات فتسكنوا من نقل جنودهم الى اوربا وبقيت الذخيرة والمؤونة والمدد تصل الى انكلترا والى فرنسا واطاليا فدارت الدائرة على المانيا وقد اتبع الاميرال محسن مقالة الاولى التي وصف بها فعل المدرات بمقالة اخرى نشرت في مجلة بيرس ووصف بها فعل سفن اميركية اصغر من المدرات كثيراً ونسبها الى المدرات كنسبة كلاب الصيد الى الصيادين واطلق عليها اسم Sup Chasers فسميها صيادات جمع صيادة . قال ما خلاصة

على بال من خطر ان سنناً صغيرة طول كل واحدة منها ١١٠ اقدام (نحو ٣٣ متراً) لا غير ومحورها ٦٠ طناً تستطيع ان تقطع الاوقيانوس الاثنتيني مسافة ثلاثة آلاف ميل ويحارها لم يعتادوا قيادة السفن وبعضهم لم يعتد سحر البحر ولا هو يصير عليه لشدة ما يتربو من الدوار ثم تقتني هذه السفن اثر الغواصات وتكون الاعداء . ولعل قصة هذه للصيدات هي اغرب ما حدث في هذه الحرب . وقد بنينا نحو ٤٠٠ صيادة في سنة ونصف وارسلنا ١٢٠ منها الى اماكن مشرقية مثل بليموث وكوينستون وبرست وجبل طارق وكورفو . وفي قاع البحر الآن كثير من الغواصات الالمانية التي قضت عليها هذه الصيادات . وقد شهد الحلفاء لها حينما وضعت الحرب اوزارها انها كانت يساهمها الى اعداء الغواصات

ان الحرب مع الالمان حرمتنا استعمال حاسة من الحواس الخمس كان الاعتماد الاكبر عليها في كل الحروب السابقة وهي حاسة البصر فصرنا مضطرين ان نحارب عدواً لا نبصره واسمينا في الحرب البحرية مثل رجل فقد بصره بفتة واضطر

ان يحارب انساناً مبصرين . ولكن " فقدنا البصر لم يفقدنا سائر الحواس ولا سيما حاسة السمع فصار علينا ان نقويها ونحدددها حتى اذا تمذّر علينا رؤية النواصات لا يتعذر علينا سماع صوتها والاستدلال منه على مكانها فان النواصة تستطيع ان تنصت في البحر حالما تريد وتغيب عن البصر ولكنها لا تستطيع ان توقف آلاتها وتبطل صوتها ولو كانت في قاع البحر . وصوت آلاتها وهي قائمة في الماء خاص بها يمكن الاستدلال به عليها . فصار على رجال البحرية ان يخترعوا آلة تدلهم على محل النواصة من صوتها

ولا يخفى ان الماء اصلح من الهواء لا يصال الاصوات لانه من كثافة واحدة وحرارة واحدة والصوت اسرع سيراً فيه منه في الهواء ويسير الى مدى ابعد من مده في الهواء ويكون اوضح فيه منه في الهواء . وقد سبق المخترعون الاميركيون غيرهم الى استخدام هذه الحواس في الدلالة على مصادر الاصوات ولذلك كانوا اكثر استعداداً من غيرهم لاستنباط الآلات السعوية التي ترشد الى اماكن النواصات فاستنبطوا سماعة ترشد من يضعها على اذنيه الى مصدر الصوت ان كان صادراً من تحت سطح الماء اي الى جهته ويؤدبه . وقد فعلوا ذلك قبلها انضمت اميركا الى الحلفاء

ولما كان شهر اكتوبر سنة ١٩١٧ كان كثيرون قد استنبطوا اساليب تساعد على سماع الاصوات من تحت الماء فاطلعت وزارات الحربية عند الحلفاء المخترعين الاميركيين على هذه الاساليب وكل ما يتصل بها وارسلت الحكومة الاميركية للكبتن رثرد لاي Loigh مدير الصيدات الى اوربا لكي يبحث عن الاساليب الاوربية المستنبطة لهاربة النواصات فقابلته وزارة البحرية البريطانية بالترحيب واطلعت على كل ما عندها من هذا القبيل ولكنها لم تكن تنتشر منه فائدة كبيرة في مقاومة النواصات وذلك لكثرة المخترعات التي اخترعت لمقاومتها ثم وجدت لدى الامتحان خالية من النفع او عاجزة عن تعيين محل النواصات لكن ثبت لها حينئذ بالامتحان ان الجهاز الاميركي افضل من غيره ولو لم يكن خالياً من كل شائبة . وبعد قليل اتقن هذا الجهاز وصار نوعين الواحد وقد سمي باسم الحرف K الاخر سمي باسم الحرف O يسمع به صوت النواصة ولو كان بعدها عشرين ميلاً والثاني وقد سمي باسم الحرف C يسمع به صوت النواصة اذا كانت اقرب من ذلك ولكنها

يكون اوضح من الصوت الاول وتعرف بهما الجهة التي جاء منها. فاذا سمع اثنان الصوت وكانا في صيادتين البعد بينهما معروف وعرف كل منهما الجهة التي جاء الصوت منها تألف من ذلك مثلث زواياه معروفة وضلع من اضلاعه معروفة وهي البعد بين الصيادتين فيعرف منها محل النقطة التي صدر الصوت منها. وللحال طلبت وزارة البحرية البريطانية ان يصنع لها كثير من هذه الاجهزة في اميركا فصنعت لها وشرعت هي تصنع اجهزة مثلها. واوصت انككترا وفرنسا بسنع ٥٠٠ صيادة. وكانت اميركا قد صنعت صيادات كثيرة لتستخدمها لمقاومة الغواصات في سواحل بلادها ثم رأت ان المانيا طازمة على الاكتفاء باستعمال غواصاتها في بحار اوربا فلم يبق للصيادات شأن في اميركا وكان بناء السفن قد ضاقت بها ذرعا فودوا التخلص منها باية وسيلة كانت ولم يكن في اميركا من البحارة العدد الكافي لها فاستخدموا لها شيئا اكثر ثم من تلامذة المدارس فلاقوا الامر في الشتاء الاول لانه كان قارس البرد شديد الروع ولكن كانت الحكومة الاميركية قد استخدمت اكثر مدمراتها لحماية النقلات التي تنقل جنودها بها الى اوربا فلم تر سبيلا لمقاومة الغواصات في اماكن اخرى بغير الصيادات فجاءت الصيادات حيثلذ وافية بالمراد فطلبت فرنا عددا كبيرا منها لحماية مرافئها وسواحلها وكذلك انككترا وايطاليا والبرتغال. وطلب مجلس الحلفاء البحري مني ان اضع اكثر الصيادات في الاماكن التي تكثر فيها الغواصات الالمانية والنموية ويكثر ضررها كما في الخليج الانكليزي وبحر ارلندا والبحر المتوسط فقطعت وارسلت الكتب لاي في ربيع سنة ١٩١٨ الى جنوب ايطاليا ليعين الاماكن التي يجب وضع الصيادات فيها فاختر خليج كوفينو وجزيرة كورفو وانتشرت الصيادات من نيونندز الى جزيرة كورفو قرب سواحل اسيا

وفصل الاميرال ممس كيفية ارسال الصيادات الى هذه الاماكن ومزية ممتاعها في سماع الاصوات وتعيين مصادرها وتمييزها عن غيرها من اصوات الاسماك والحيتان والاسراع الى النواصة التي صدر الصوت منها والقاء القنابل التي تنفجر في الماء عليها او استدعاء مدمرة من المدمرات لكي تبادر اليها وتسفها بهذه القنابل اذا بقيت قائمة في الماء او تدفع اذا صعدت الى سطح الماء. ثم شرح حادثة من الحوادث التي وقعت فعلا فقال

حدث صباح السادس من سبتمبر سنة ١٩١٨ ان ثلاث فرق فيها تسع من
الصيدات كانت على نحو ١٥٠ ميلاً من لندنس اند (طرف البر) في الجهة الغربية .
وقبل الظهر بنصف ساعة سمعت ست منها صوت غواصة وتحققت ان الغواصة
قريبة جداً فبادرت ست من الصيدات اليها ورمتها بالقنابل التي تنفجر تحت الماء
فلم تصبها على ما يظهر وانفجرت احدى القنابل قرب احدى الصيدات فغطتها .
وبقيت الصيدات الاخرى تفتني آثار الغواصة وتحاول تعيين محلها . وعند الساعة
الاولى بعد الظهر وجدت انها على نحو ٣٠٠ قدم منها فأمطرتها وابلاً من قنابلها
التي تنفجر تحت الماء ثم اصفت بسماطها فسمعت محرك الغواصة يدور ببطء او
يحاول الدوران فيلإقي صعوبة في دورانه ثم وقف عن الحركة تماماً وبعد ذلك
تمحرك ثم وقف فأتضح من ذلك ان الغواصة كانت تحاول السير فسير بصعوبة امتار
ثم تضطر الى الوقوف فتقف . ثم ظهر على وجه الماء خط كالذي يظهر فوق الغواصة
اذا كان البحر رهواً فامرعت احدى الصيدات الى تلك النقطة والقت فيها بعض
القنابل وللحال خرج من الماء قضيب اسود طوله نحو ثلاثين بوصة ونشب في
الهواء فلم يبق شبهة ان الغواصة هناك . وسيلها حينئذ ان كان عمق البحر لا يزيد
على ٣٠٠ قدم ان نفوس الى القاع وتناوت فيه حتى اذا انقطع صوتها نظرت
الصيدات انها غرقت فتنكرها ونمضي في سبيلها

لكن رجال الصيدات هموا من الغواصة اصواتاً تدل على ان غرقها لم يكن
حيلة بل ان رجالها كانوا يبذلون جهدهم للعود بها من قاع البحر وانها كانت
تحاول الصعود وتجر نفسها في قاع البحر فيتعذر الصعود عليها ثم تقف خائرة القوى
هنا سفينة في قاع البحر فيها عشرون او ثلاثون رجلاً وهم يحاولون الخروج
منها او الصعود بها فلا يستطيعون ولا يرون امامهم الا الهلاك . وكان الذين في
الصيدات يسمعون كل صوت من اصواتهم ويدركون كل حركة من حركاتهم
كانهم يرونهم بعيونهم . ثم هموا صوتاً معدنياً كأنه من ضرب مطرقة على جسم
جديدي فادركوا ان رجال الغواصة كانوا يحاولون اصلاحها . ولو بقي في الصيدات
قنابل لرموا الغواصة بها وقضوا على الذين فيها ونجوم من هذه الحياة المرة لكن
قنابلهم كانت قد نفذت . وكانت الشمس قد غابت المقيب فارسلوا اثنتين من
صيداتهم الى ينزس لتأتيا بالقنابل وبشوا رسالة لاسلكية يستدعون بها مدمرة

من المدرات ووضعوا علامة لعلهم على الماء فوق المكان الذي تحقروا وجود الفواصة فيه ووقت ست من الصيدات هناك مستعدة لكل طارىء لان الفواصة قد تتمكن من الصعود لجأة ولا بد من محاربتها حيثئذ . ومضى الليل وهذه الصيدات مرابطة هناك ورجالها يسمعون اصواتاً من الفواصة تتخلفت رويداً رويداً . وفي الساعة الثالثة بعد نصف الليل وصلت احدى المدرات البريطانية ومادت الصيدتان من بنزس بكثير من القنابل وكان الهواء قد تغير وبدأ النور والظلمات الانوار التي على العلامة الطواقمة والعلامة تقسها عبت بها المدّ وابعدها عن محلها . والصيدات التي كانت مرابطة لمراقبة الفواصة كانت الامواج قد عبت بها فاضاعت دلالتها على محل الفواصة فمادت تبحث عنها بسماطها ومضت الساعات وهي لا تمثدي . وفي الساعة الخامسة بعد الظهر سمعت بسماطها صوتاً حاداً صوت مدسّس أطلق ثم سمعت صوتاً آخر وآخر على التوالي الى ان بلغ عدد الطلقات خمسة وعشرين طلقاً فدل ذلك على ان رجال الفواصة كلهم او اكثرهم اتحروا الواحد بعد الآخر باطلاق الرصاص على انفسهم من مدساتهم لما رأوا ان النجاة امست مستحيلة . انتهى

قد يقول الباحث الاجتماعي لا يفضل الحديد الا الحديد فان الالمان ارادوا استعباد خصومهم والقضاء عليهم فلم يرخصومهم سيلاً للنجاة من شرهم الا ان يكيلوا لهم الصاع ساعين . حسن ولكن لماذا يريد زيد ان يستعبد عمراً او يتضي عليه وخيرات الارض كثيرة تكفي زيدا وعمراً والجسم ايكفي بالكفاف من الطعام والكساء و « فضول العيش ذاهبة جزافاً » . فلماذا هذا الكأب وهذا التنازع وهل المرور بالظفر يوازي الم الجهاد . هل رجال الصيدات الذين قضوا ذلك الليل البهيم ارقين لا يمتنع لهم جنس سرّوا بنوزم اخيراً وساعهم اصوات المدسات من رجال الفواصة سروراً يزيل ما كابدوه من التعب والام . وهل فكّر رجال الفواصة بما ستأول اليه حالهم اذا ركبوها قطابت له نفوسهم . وهل يفكر الذين اتاروا هذه الحرب بما خربت من الولايات فيحمدون متبئة ما فعلوا مثلوبين كانوا او قالين . وهل سمحت عزائمهم على ابطال الحروب ومنع التأهب لها او عادت الاخلاق الوحشية فتغلّبت على تعاليم الفلاسفة وعلمي الاصلاح . وسرى من الحروب والفتنات ما لم يسمع العالم بمثله في فابو الازمان